

مضاعفات حتمية لوضعية قارة

قمرى البشير

١ - ترحبه ما تحب العصر

ما بين المحيط الابيض والمحيط الاسود ، كان الطريق البيني يبيع السبي
يلصغون ، يجرحون ادمهم الصحة بالطين وريوت الدواب . فوق الدراجات الصهح
انهم يانعوا الحليب البسيط ، نسيفهم انفسهم المحترقه في نايح مسدود .
حسرو عندما تلمس طيفه الهواء الرائد . يعد قليل ، سمنح البيويه ، وحم
الاشجار الغاريه واحوام الورق الذابله لاستقبالهم ، تنتظير منصطم بوجومهم
وصدورهم ، ثم تسقط تحت العجلات . لقد ساروا طيله الفجر . اطلقتهم احواح
للقصدير المنتشرة خلف الاسوار التاريخيه . عندما وصلوا ، تفرقوا ، حل الى
حيه الملعون لتوزيع الخيرات على السكان المتخمين ، وبدوا بالصياح :
(الحليب .. الصلاة على محمد الحبيب .. الحليب) . ثم صاعوا في الشوارع
الخاليه . سيات الاشعة الومحة نقضح نجاجيد وجومهم المنكمشه : (هم حلبوا
بقراتهم في الليل . هم جمعوا كميات الحليب ، وضعوها في البراميل وحموها
خلفهم فوق الدراجات وانحدروا : فعلوا كل شيء من اجل الناس الكبار) . بدأت
العمارات الداكنة تفرز الخادماات المنتفحات من شدة البرد وزمهير المطابخ
البورجوازية ، حاملات للقوازير الزجاجية لمثلها من اجل فطور « ساداتهن
ولالاتهن يصعدن بعد ذلك بصناديق القمامة المنتنة بعد أن مر عمال التنظيف
في عز الليل وأفرغوها في الشاحنات . خرجت خناثة المنقحة من الباب الحديدى ،
تشد بيدها اليمنى ، المنديل على رأسها وبالييد الاخرى الزجاجة الشرمة (أين
اليد الثالثة والرابعة والخامسة ؟ تقول لها سيدتها عندما تغرق في الصابون
والجافيل وخرق الاطفال الصغراء) . أحست كأنها دب قطبي يحتاج الى البرد
والماء ليعيش أكثر . عندما لم تواجهها سيول الامطار الصباحية . بدأت عيناها
تمطران . هي تحب المطر والبرودة ، لأنها تعيش وسط الماء صفدعة تسبح في
العرق والماء والاوساخ : ماء الغسيل والوانى . تقدمت نحو البائع وانتظرت
ليسند دراجته الى جدار الحديقة المغترية فوق الاسفلت . اعطاها حصة
المستهلكين الساكنين بفيللا (لانوبليس) ثم عادت من حيث أتت في صمت .

بخليئها ودموعها وبروده مخدس . أحكمت اغلاق الزجاجة حتى لا تتسرب
الليكروبات اليها كما اوصوها سابقا . عندما التزمت ببيع شبابها وعضلاتها
للناس الكبار ، كان وجهها المنوع من الابتسام ، يسكن كل القطع البلورية في
اللباب . وكان جهازها العصبي يسجل ارتفاعا في درجات الاحتراق والغضب ،
وكانت عاطفتها قد بلغت درجة الالف تحت الصفر : محكوم عليها بالانحدار
في كل شيء : الجسد والعقل والوضعية الانسانية .

2 - النظر بعين التعلب :

عندما ابتلعتها الفيلا ، كانت عيون البائعين تتابعها ، تدرس في وقاحة
الخييط الرابط بين الفخذين والبساقين : صارت حلوة في عيونهم ، تابعوا
حركات عجزها المنتفخ ، تنهدوا في حرمة ، لانهم لا يمتلكون حواء نقية البشرة
في الحوار . ابتلعوا كميات الرين المزوج بالدخان : فرر البعض منهم الزواج ،
وقرر البعض الآخر تسريح حواء من بينه ، وتبديلها بأخرى ان سمحت
الظروف ، بينما عند الآخرون العزم على الانفراد في مكان ما مع احدى الصور
العارية وقطعة من الصابون . كيف لا ؟ وهم في مقتبل العمر : ورثوا الشوارب
والسحنة المحروقة ، وتوفر الهرمونات بكثرة . عندما ينهضون من نومهم في
الفجر ، غالبا ما يتركون بقعا نرجة من شدة الانفجار في الحلم والواقع .
ينهضون دانما وهم يحلمون بتغيير لون الجدران والاثواب والايام والتاريخ ،
انها الرتابة اتعدت القرفصاء في كل ركن الحركة التي يكتنفها النشاط قليلة ،
أولا : حركة الحلب والصر ، ثانيا : حركة الهضم والابتلاع ، ثالثا : حركة
النوم فوق النساء . (حماد) كغيره من البائعين ، ينهض من نومه وينفخ عجلات
دراجته ثم يتبلعه الحياة الصعبة ، عندما نهض هذا الفجر ، كانت حواسه
وغرائزه في حالة استنفار . أطل بعينيه من تحت الغطاء الصوفي . ثم غادره
ليفتح الباب أمنخور ، وسرعان ما امتلات الغرفة باشعة هائمة على وجهها .
خرج ثم غاص برأسه التفتيل في الدلو الممتلأ بالماء البارد ، شرب وغسل وملا
أذنيه وأفرغ أوساخه دفعة واحدة ثم اتجه صوب الاصطبل بقراته الخمسة
تنظر اليه في برودة : لقد تعودت عليه ، يأتيها كل صباح ليسلبها ملا تكوم في
أضراعها من خيرات تحملها الى الناس الكبار . بالنسبة لها ، العملية جد
بسيطة ، فهي لم ترفض أبدا مدهم بالحليب ، أما هو ، فالامر يختلف تمام
الاختلاف : ان دماغه يسجل شيئا غير عادي . لقد بدأت اشارات مراعاة تريد
نسف البناء الداخلي لعلبة التفكير ! من أجل من هذا النهوض الباكر طيلة
عشر سنين ؟ منذ أن كان في الثالثة عشرة وهو يبيع الحليب ! خلف آباء الميت
ذات مرة على درب الحياة الصعبة . حادثة اصطدام . اختلطت فيها عضلات
أبيه وأطرفه بدواليب شاحنة فولفو كاسرة آخر ما قاله أبوه : (تزوج يا بني ،
الاولاد زينة الدنيا) ! من أجل من هذا التعب المستمر ؟ مرت السنون الاولى
وهو يزداد حجما وتفاؤلا بالحياة البسيطة ، وما هو الآن يتضائل وينقص في

حل شيء ، أسرته نفذ باستمرار أفرادها مند ولادته : الحمى والجذري والموت المجردة وهو لا يعي ! عندما فكر هكذا ، قرر الزواج . فألها في حبل لعمه سي إحدى الامسيات ، وكتم تمنى أن يزوجه هذا الأخير من عنده ، لكن زوجته عاقر لا تحسن صنع الوحوش ! أجابه « سنبحث لك عن بنت تأس » ! هبط ذلك الصباح ، وسار نحو المدينة . بين الاكواخ الطينية وهي تصرخ من شدة اللذة (خاصني مرا.. خاصني مرا.. خاصني مرا).. سد البراميل خلفه (بسم الله) وضع الرجل اليمنى (يا رضات الوالدين) وضع الاخرى وحرك الدواسنين ! وحرك ! ماذا قال لك أبوك ؟ انها الحقيقة : لقد سمع صوتا يناديه . أبوه ينتصب في ذاكرته (تزوج يا بني... تزوج يا بني) ! (حماد) كغيره من البائعين تجذبه السيقان الوردية : نحمة الخادمت المتعبات . دائما يطارده وحش الشهوة ويحمله عاليا ثم يلقيه في التراب على أنفه . مرات عديدة ، سقط من فراشه على الارض الباردة وهو يعانق وسادة . هذه المرة سيضع حدا لهذا الصراع الذي ملا الشرايين والارعية والدماغ . عندما ينظر الى (خنائث) يفقد هويته . وتتفجر الرقبة بالعرق ، وتتفجر الجبهة ، وتتفجر الاجهزة الدماغية . تقترب منه أحيانا ، فينسى أحيانا أنه يكب الحليب في القارورة الضيقة ، فيسيل على مربعات الرصيف . تمنى مرات عديدة الى جانبه فوق فراش محجوز في غرفة غير محددة الإقامة : قطعتين من اللحم ياردتان ، عاريتان في لون البفتيك .. هل يناديها ويطلب منها بكل سهولة أن تردفه فوق الدراجة نيجملها كما فعل السندباد ؟ هل يغارلها ويفرغ في اذنيها عبارات التشنج كما فعل مع العذاري عند البئر القروي ؟ سكنته الحيرة وسكنه الامل الجميل وكمية كبيرة من اليأس .

3 - صورة ناطقة لاهل الليبدو

بعد تمام التسعة أشهر . وبعد اشواط النطفة والعلقة ، وقطع الحبل ، يخرج الوحش هادئا ، تضعه القابلة في الخرق المجموعة من دكاكين بيع الاثواب بالجملة . يمر العام الاول والثاني والثالث ، وتأتي سنة ابراهيم فيمتلا صحن الدار بالراقصات والعازفين والاثواب المزركسة ، ويصيح كل من يحسن تقليد الديك . هذا تدم عملية تهيب الوحش للدخول في مرحلة البحث عن حواء (حماد) خضع لنفس الترتيبات ، فكبر كاملا : له عينان كعيني الثعلب وأنفاس كانفاس اوديب وأحلام سيزيف . نظر الى حواء واحتال في كيفية التقاء رائحته برائحتها ، في حفلات العرس والختان والمواسم الوحشية درس يتمعن جغرافية الاجساد النسوية ، لكن دائما كانت حجرة سيزيف تقف أمامه منتصبة . استقرت كل العيون النائمة تحت الرموش القروية ، وكل الصور المثلثة !

4 - نهاية ما لا نهاية له :

الاسم : حماد بن حماسي

السن : 23 سنة

الحرفة : بائع حايب للناس الكبار
الأوصاف الخاصة :

I - انسان يمد سكان المدينة والفيلات الانيقة بكل شيء ولا تعطيه هي شيئا .

ب - انسان لا يريد موتا تحت عجلات الفولفو .

ج - انسان قرر أن «يعمل رأسه» .

اشارة عابرة على لسان المعنى بالامر
معذرة أيها المتطفلون على وضعيتي الخاصة - القارة ان اخبرتكم أنني
احب خناثة المتفخة من شدة البرد .

قمرى بشير

الرباط I2 - 5 - 75

ترقبوا صدور الكتب التالية :

عطيل ، الخيل والبارود (احتفال مسرحي) عبد الكريم برشيد

Chants superposés

POEME

Mohamed Louakira

عبد الله زريقة

شعر

رقصة الرأس والوردة